# دور المجتمع
# نحو الإصلاح والتغيير

د. ناظم سلطان المسباح

ورقة مقدمة لمؤتمر ( الإصلاح والتغيير ،، رؤية شرعية )
المنعقد بدولة الكويت خلال الفترة ٢-٣ ربيع الأول ١٤٣٤هـ
الموافق ٢٠١٣/١/١٥/١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد .

فإن الإصلاح مطلب عظيم لاستقرار الدول واستمرار الحكم ، ورفاهية الشعوب ، وانتشار الأمن ، وبغيابه ينتشر الفساد ويكثر الخبث وتهلك الأمم ، ولقد جاء الإسلام بالإصلاح في كل مجالات الحياة، فأصلح للناس دينهم ودنياهم قال تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام :﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[1] ، وجعل معيار الصلاح والإصلاح في موافقة شرعه وجعل مخالفة شرعه إفساداً فقال تعالى:﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾[2] أي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما جعل الإصلاح المتمثل باتباع شرع الله ضمان من الهلاك كما قال

(١) سورة هود:٨٨.

(٢)سورة الأعراف:٨٥.

تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] .

ولقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت ـ حفظ الله القائمين عليها ـ بتبني مؤتمر (الإصلاح والتغيير ) ومعالجته برؤية شرعية وكلفتني ـ مشكورة ـ بالمشاركة فيه من خلال هذه الورقة التي جاءت تحت عنوان ( دور المجتمع في الإصلاح والتغيير ) حاولت فيها توضيح الدور المنوط بالمجتمع في الإصلاح سواء تجاه الراعي أو الرعية وقسمت الورقة إلى المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف المجتمع لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : مفهوم المجتمع المدني والأمة الإسلامية .

المبحث الثالث : أهمية الإصلاح بالنسبة للمجتمع .

المبحث الرابع : جوانب الإصلاح والتغيير المجتمعي .

المبحث الخامس " واجبات المجتمع في الإصلاح والتغيير .

المبحث السادس : وسائل المجتمع في الإصلاح والتغيير .

وأخيرا أشكر القائمين على المؤتمر على منحهم لي هذه الثقة في طرح مثل هذا الموضع المهم والإسهام فيه ، وأسأل الله تعالى لي وللجميع التوفيق والسداد إلى الحق إنه سميع مجيب والله الموفق ،،

كتبه /

د. ناظم سلطان المسباح

١٤٣٤/٢/١٣هـ ،

٢٠١٢/١٢/٢٥م

دولة الكويت

---

(١)هود:١١٧.

## المبحث الأول
## تعريف المجتمع لغة واصطلاحاً

### المطلب الأول : تعريف المجتمع في اللغة :

لفظ (مجتمع) في اللغة اسم مشتق من (جَمَعَ) ، فالجمع ضم الأشياء المتفقة، وضده التفريق والإفراد. وفي مختار الصحاح :"تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا وهاهنا"[١]، ويطلق لفظ( المجتمع) ويراد به موضع الاجتماع أو الهيئة الاجتماعية . ثم نقل إلى الجماعة من الناس. ويلاحظ في التعريف اللغوي إطلاق لفظ المجتمع دون الالتفات إلى سبب الاجتماع .

### المطلب الثاني : تعريف المجتمع اصطلاحاً :

كانت كلمة (المجتمع) من وجهة نظر الفلاسفة القدامى ترادف كلمة (الإنسانية)، ثم تبلور مفهوم المجتمع ليطلق على أي مجموعة من الناس تربط بينهم مصالح دائمة كالأسرة والعشيرة والقرية والطائفة من الناس التي تجمعها مهنة أو دين .[٢]

والمجتمع كما يعرفه علماء الاجتماع هو : جماعات من البشر تعيش على قطعة محددة من الأرض لفترة طويلة من الزمن تسمح بإقامة علاقات مستمرة ومستقرة معترف بها فيما بينهم مع تحقيق درجة من الاكتفاء الذاتي .[٣]

## المبحث الثاني
## مفهوم المجتمع المدني والأمة الإسلامية

المجتمع المدني : هو مجموعة من المنظمات السياسية والاجتماعية والمهنية والجماهيرية التي تعمل بين الدولة والمجتمع، وتعمل لتحويل دقائق الأمور في المجتمع إلى الدولة بأسلوب سلمي. أما الدولة : فهي المؤسسات والدوائر التي تدير السلطة، والسلطة في أحسن حالاتها يختارها المجتمع بانتخاب حر لمدة معينة ومحدودة. فالمجتمع المدني يقع في المساحة التي بين الدولة والمجتمع .[٤]

---

(١) مختار الصحاح ، ( ج م ع ) ٦٠/١

(٢) رؤية الفلاسفة في الدولة والمجتمع ص٦٣ ، صاحب الربيعي .

(٣) موسوعة ويكيبديا بوابة علم الاجتماع www.wikipedia.org

(٤) المجتمع المدني بين الدولة والمجتمع ، مقال للأستاذ عبد الرحمن صديق.

فالمفهوم هنا هو مفهوم شمولي يجمع كل التنظيمات والمؤسسات خارج السيطرة الحكومية.
ولعل السبب في إنتاج نظرية المجتمع المدني القائم على الديمقراطية هو الهروب من حكم الكنيسة وتسلطها على المجتمع .
والمؤيدون لفكرة المجتمع المدني ينطلقون به على أساس الديمقراطية التي تعني قيام المجتمع بتشريع أنظمته وعلاقاته ويحتكم إليها بالتراضي .
أما المجتمع المسلم فإنهم يعرفونه بأنه : أفراد مسلمون مستقرون في أرضهم ، تجمعهم رابطة الإسلام، ينتظمون بنظام الشريعة الإسلامية ، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام.
فالمجتمع المسلم وإن كان يحمل نفس فكرة التجمع وينطبق عليه مفهوم المجتمع لغة إلا أنه يختلف عن مفهوم المجتمع الغربي من ناحيتين :
الناحية الأولى : أن المجتمع المسلم لا تربطه أرض أو لغة أو جنس أو أي علاقة أخرى غير الدين الواحد والعقيدة الواحدة التي تعد من أهم سمات المجتمع المسلم .
الناحية الثانية : أن المجتمع المسلم لا يخضع لنظرية الانفصال بين الدولة والمجتمع بكل مكوناته ، فالمجتمعات الغربية إنما انتجت مفهوم الدولة المدنية هروبا من ظلم الحكم البابوي المستبد إلى التحرر بواسطة ما يعرف بالدولة الديمقراطية أو المدنية التي تستمد سلطتها من الشعب ويفصل فيها الدين عن الدولة، وحق لهم ذلك ، أما المجتمع المسلم فإنه تربطه مع حاكمة أواصر العدل والشورى والمناصحة والطاعة بالمعروف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الإسلام لم يعط للولاة مكانة الحكم باسم الإله، ولم يرفع قدرهم فوق مستوى بشر، فلا يخطئون ولا يراجَعون، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله.(١)
وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أفضل؟ فقال: كلمة حق عند سلطان جائر.(٢)
فالمجتمع المسلم لا تجد فيه ذلك الانفصام بين الحاكم والمحكوم بل كلاهما يدخل في مضمون الأمة الواحدة .
والمجتمع المسلم عبر عنه القرآن بالأمة التي تجمعها عقيدة الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار ،

---

(١)أخرجه الحاكم (٣ / ١٩٥) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٠٧٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٤)
(٢) رواه النسائي برقم ( ٤٢٠٩) ، وأحمد برقم ( ١٨٨٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ( ١١٠٠)

ويشهد لهذا القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [ آل عمران : ١١٠] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾. وتكاد هاتان الآيتان أن تحددان مفهوم المجتمع المسلم في ثلاث نقاط :

- الأولى : أنه أمه واحدة .
- الثانية : أن الرابط لمكونات هذا الأمة هو الدين ( وأنا ربكم فاعبدون ) وهذا الرابط هو الأساس في بقاء واستمرار قوام هذا المجتمع .
- الثالثه : دور المجتمع بقوله : ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )

والخلاصة : أن المجتمع المسلم هو مجتمع رباني، ويستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، ويرتبط أفراد هذا المجتمع برابطة الإيمان بالله، وهي رابطة الدين، وليست رابطة الدم ولا النسب ولا العصبية، وهي أشرف الروابط وأوثقها.

## المبحث الثالث
## أهمية الإصلاح بالنسبة للمجتمع

الحديث عن الإصلاح يقتضي وجود فساد حقيقي وفاسد يقوم عليه مما يقتضي على الأمة القيام بإصلاح هذا الفساد وتقويم هذا الفاسد أو تغييره ، ومعالجة أسباب الفساد وقطع موارده والطرق التي تؤدي إليه .

والإصلاح الذي نقصده في هذا البحث ليس مجرد التوفيق بين متخاصمين فحسب بل هو أشمل من ذلك فهو يتناول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة بكل معانيها التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم : «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .[١]

إذاً: فالإصلاح بهذا المعنى الشامل هو الدين كله ، وهو الحصن الحصين لبقاء الأمة وحدة متماسكة يحمى فيها حق الضعف ويؤخذ حق المظلوم من الظالم ويندر فيها الخلل ويقوى الرباط بين أفراد الأمة ويسعى بعضها في إصلاح بعض.

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدين النصيحة رقم (٥٥).

وبالإصلاح يصلح المجتمع وتأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وتزرع المحبة والمودة، وقد أمر الله تعالى بالإصلاح في كتابه فقال جل شأنه : ( فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم )[١].

## المبحث الرابع
## جوانب الإصلاح والتغيير المجتمعي

ينبغي على المجتمع المسلم أن يكون هدفه الأول في البقاء والبناء والتغيير هو تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى وتطبيق شرعه على المستوى الفردي و على مستوى المجتمع ، ومن هذا الهدف تنطلق كل الأهداف الأخرى والإصلاحات والتغييرات .

### المطلب الأول : جانب التشريع :

لا شك أن المشرع أولا وأخيراً هو الله تعالى وحده، فهو صاحب الحق في ذلك وإنما يأتي دور الأمة بواسطة نوابها أو نقبائها لدى الدولة في تفهم نصوص الشرع واستنباط التشريعات في صورتها القانونية من تلك النصوص، ليتم إلزام المحكومين بالتقيد بها.[٢]

وأهل الشورى هم سلطة ذات سيادة تنوب عن الأمة مباشرة، ولها مهام سيادية كالاختيار والرقابة وإصدار القوانين التي تنظم أمور الدولة فيما لا يخالف الشريعة الإسلامية.

### المطلب الثاني : جانب الرقابة والمحاسبة :

إن الحديث عن الإصلاح والتغيير يقتضي إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق مبدأ الحسبة بأنواعها في الإسلام سواء حسبة الراعي على الرعية أو حسبة الرعية على الراعي ، أو حسبة الرعية على الرعية . فالحسبة بمعناها العام هي تجسيد لمبدأ رقابة الأمة وسلطتها الممنوحة لها من رب العالمين ويمكن أن نقسم رقابة الأمة إلى قسمين :

#### القسم الأول : الرقابة على الحاكم :

الحسبة هي الاسم الشرعي لإشراك الأمة في مبدأ الرقابة والمحاسبة ، ومن المعلوم أن هذا المبدأ هو أحد ركائز ما يُسمى في هذا العصر بالنظام الديمقراطي، الذي يقوم في الأصل على مبدأ إشراك الأمة ، غير أن هذا النظام باصطلاحه الأصلي يتجاوز بالأمة أيضاً حدوداً لا يجوز تجاوزها عندما

---

(١) سورة الأنفال (١).

(٢) السلطة السياسية في النظام الإسلامي د أحمد العوضي ( بتصرف )

يعطيها حق التشريع المطلق .

والفقه الإسلامي احتوى على إشراك الأمة في القرار وهو نظام الشورى الذي ورد في القرآن ، وعلى تكليفها بالرقابة على الدولـة ، ومتابعة التزامها بـ (الدستور) الذي هو الشريعة الإسلامية ، وتقويمها إذا انحرفت عنه ، كما احتوى على تحميل الأمة مهمة النهوض بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع لحمايته من انتشار عوامل ضعفه أو تفككه أو فقدان هويته وذوبانه في هوية ثقافات أجنبية أخرى ، وقيد كل هذه المهام بأن تكون وفق هداية الله تعالى والتزام شريعته.[١]

غير أن هذا الأمر ليس موكولا لآحاد الناس يقوم به بل هو من مهام أهل الحل والعقد من العلماء والوجهاء في الأمة ، وهو في بعض الدول موكول إلى ما يسمى بمجلس الشورى ، أو مجلس الأمة كإحدى الوسائل التي تمتلكها الأمة تجاه حاكمها .

ولأن الأمة ذات سلطة وسيادة فقد أنيط بها تنصيب حاكمها ليقوم بأمورها ويرعى مصالحها ويسوس دنياها بدينها ، وبدون أن يكون للناس إمام مطاع أو سلطان يحمل الناس على الحق لا يمكن أن تنتظم أمورهم ولا تتحقق مصالحهم ولا يقام الدين فيهم.

كما أنيط بها مبايعته ونصرته والذب عنه وطاعته في غير معصية الله ، وعدم الخروج عليه ما دام مستوفيا شروط الولاية قائما بحقها ، والنصح له في كل أموره، قال عليه الصلاة والسلام : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٢]

القسم الثاني : رقابة الأمة على بعضها :

ومقتضاها أن يكون ضمن مؤسسات المجتمع التي تشرف عليه الدولة ما يكون اختصاصه حفظ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة ، ومراقبة حالة المجتمع ومدى تمثل مبادئ الإسلام فيه ، أو بمعنى آخر الرقابة على الجانب الاجتماعي والحفاظ عليه من الانحراف والشذوذ، إذ بانحرافه ينحرف المجتمع ويكثر الخبث وتهلك الأمة .

ونقصد بالجانب الاجتماعي الذي يخضع لرقابة الأمة كل ما يتعلق بالمجتمع من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد وعلاقات تنشأ بين أفراده سواء على مستوى الأفراد أو العائلة أو القبيلة والتي لا

---

(١) الحسبة على الحاكم ووسائلها في الشريعة الإسلامية بقلم : حامد بن عبدالله العلي ص٦ الطبعة الثانية

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدين النصيحة رقم (٥٥).

يقوم المجتمع إلا بها .

وأول من يكلف بهذا المهمة الجليلة والفرض العظيم أولو الأمر وهم العلماء والأمراء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:( ولذلك كان أولو العلم هم الأمراء والعلماء إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس , ولما سألت الأحمسية أبا بكر الصديق ما بقاءنا على هذا الأمر قال ما استقامت لكم أئمتكم ) ، وهذا النوع من الحسبة لا يسقطه شيء فلا يسقط بعدم وجود الدولة الحاكمة بالشريعة ولا بعدم قيامها بالحسبة ، أو قيامها به على وجه لا يوافق الشرع ،بل هو حق عام مكفول لأفراد الأمة جميعاً كل بحسب استطاعته .[1]

## المبحث الخامس
## واجبات المجتمع في الإصلاح والتغيير

لا شك أن الإصلاح يحتاج إلى رقابة دائمة من قبل المصلحين، وسبرٍ لأسباب الفساد ومعالجتها ودراسة مكامن الضعف في الأمة التي تفضي دائما إلى المفاسد وعلى ضوء ذلك تترب أولوياتهم في الإصلاح بحسب خطورة الأسباب المفضية إلى الفساد .

ويمكن أن نلخص واجبات المجتمع في الإصلاح إلى ما يلي :

### ١ . العناية بإصلاح الفرد .

نستطيع أن نقول أن المجتمع يتكون من ( إنسان وفكر ) فإذا عني المجتمع بالإنسان وفكره صلح المجتمع وبفساد الأفراد تفسد العلائق وينهار البناء المجتمعي ، ولأننا شعب مسلم ننطلق من مبدأ إيماننا بأن هذا الدين هو الدين الحق ، وهو الحاكم وهو المربي للإنسان البدائي والإنسان الحديث فإن معيار الصلاح عندنا يكون في نظر الشرع فقط ، " ولا يكون الفرد مواطناً صالحاً في نظر الشرع إلا إذا كان مسلماً صالحاً؛ لأن صلاح الأوطان وأمنها وازدهارها يتطلَّب مسلماً صالحاً، وصلاحُه يتجلَّى في إعداده لنفسه كي يكون لَبِنَةً صالحة وقوية في الصَّرح الاجتماعي، وهذا يعني استقامته في أموره الشخصيَّة حتى لا يكون عاملَ إفساد، أو عِبئاً على أهله أو على الدولة، كما

(١)الحسبة على الحاكم ووسائلها في الشريعة الإسلامية بقلم : حامد بن عبدالله العلي ص٣٠ الطبعة الثانية

يتطلَّب قدرته على الإسهام في حمل الكَلِّ والضعيف والمنكوب وصاحب الظَّرف الصعب والطارئ"[١]

### ٢. العناية بإصلاح الأسرة.

تعتبر الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وبقدر ما تكون الأسرة قوية متماسكة بقدر ما يكون المجتمع قويا متماسكا، متينا مثمرا متحضرا، ولذلك جاء اهتمام الإسلام ببناء الأسرة المسلمة، وإقامتها على أدق وأرقى الأسس الاجتماعية، والخُلقية، فالاهتمام بأمر الزواج الذي هو الخطوة الأولى لبناء الأسرة المبني على الرغبة التامة في بناء الأسرة واستحضار المقصد الحسن للزواج القائم على الألفة والمحبة بين الزوجين ، ثم الاهتمام برعاية الأولاد القيام بحقهم من النفقة وحسن التربية ، والاهتمام بحمل مشاكل الأسرة المالية والخلافات الأسرية تعتبر من أساسيات بناء الأسرة وتحصينها من الانهيار ، وتجعلها أسرة صالحة منتجة تشكل لبنة قوية من لبنات المجتمع المتماسك .[٢]

### ٣. العناية بالقيم والأخلاق الحميدة وحراستها وتطويرها .

كما لا يخفى على أحد أن بقاء الأمم مرهون ببقاء الأخلاق والقيم الكريمة فيها

قال أحمد شوقي : فإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت ،،،،،، فإن همُ ذهبتْ أخلاقُهمْ ذهبوا .

وقال : وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ،،،،، فأقم عليهم مأتماً وعويلاً .

فالأخلاق الحميدة التي يتحلى بها الفرد ، والقيم الفاضلة التي يعتنقها والمستمدة من عقيدة التوحيد ومبادئ الشريعة تقوم بدور أساسي في التأثير على سلوكه ونشاطاته بل وممارساته اليومية بل وعلى جميع مظاهر حياته .

إن الأخلاق الحسنة لها تأثير ايجابي على الفرد والمجتمع، وهذا التأثير لم يكن الاهتمام به من أجل تحصيل الأجر والثواب والفوز برضوان الله تعالى فحسب، بل هو أسلوب ومنهاج عملي وفاعل في التأثير في المجتمعات، فما خلا مجتمع من الأخلاق إلا وعمه الخراب والفساد وهجمت عليه البلايا والمحن.. وهذا بالفعل ما نراه ملموساً في كثير من المجتمعات في وقتنا الحاضر كما جاء في حديث

---

(١) تنمية النزعة الإنسانية د. عبد الكريم بكار.

(٢) للمزيد انظر كتاب مشكلات أسرية وعلاجها على ضوء الشريعة والقانون أحمد الكردي ص٣٢٤.

زينب بنت جحش أنها قالت : يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[1] والخبث هو الفسوق والفجور والمعاصي وانتشارها إيذان بزوال المجتمعات وهلاك الأمم ولذلك كان من أولى واجبات المجتمع والدولة هي حماية جانب الأخلاق ، وتنمية محاسنها ، ومحاربة مساوئها ، وإن أي إهمال لجانب الأخلاق ينتج عنه عواقب وخيمة ، وربما تذهب معه ضروريات الحياة الخمس ( الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ) فانتشار الرذيلة مؤذن بذهاب ضرورة النسل والكذب والغش والخيانة بين الناس مؤذن بذهاب ضرورة المال ، وقس على ذلك بقية الضروريات الأخرى .

### ٤. العناية بالعلم والتعليم :

فالمجتمع الجاهل مجتمع سلبي غير منتج يأخذ ولا يعطي تابع لكل من أحسن إليه ، والحكومات مهما كانت غنية لا تستطيع تحمل مسؤولية النهوض بمجتمع كهذا دون أن تعلمه.

ويكاد يجمع علماء التنمية والاقتصاد أن أساس التنمية في أي دولة يقوم على العلم ، ولذلك أولت الدول الكبرى هذا الجانب اهتماما كبيرا وأنفقت الأموال الطائلة في سبيله .

والإسلام دين العلم فأول آية نزلت من القرآن ، تأمر بالقراءة التي هي مفتاح العلوم قال تعالى: ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ) العلق/١-٥ .

فالإسلام دين شامل كامل يدعو إلى العلم والتقدم الذي تستفيد منه الحضارة الإنسانية, ويعتبره مفتاح التغيير والإصلاح في كل زمان ومكان ، وما كانت البشرية لتصل إلى ما وصلت إليه لولا إنتاج العقل المبنى على العلم والبحث العلمي الذي أسس له المسلمون .

### ٥. تشجيع العمل التطوعي وإنشاء الجمعيات الخيرية والمنظمات الطوعية :

انتشار الجمعيات الطوعية والنقابات والمؤسسات المدنية ظاهرة صحية تدل على وعي المجتمع بحقوقه وواجباته ، وتسهم في بناء دولة قوية البنية ، وتعمل على توجيه مشاركة الأفراد في الأنشطة

---

(١) رواه البخاري ( ٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠) .

الاجتماعية والاقتصادية وتنظيمهم في جماعات أكثر قوة للتأثير على السياسات العامة، ....[١]

لقد أثبتت الجمعيات الخيرية والمنظمات الطوعية مقدرتها على حل أزمات كثيرة حلت بالأمة وسد حاجات المجتمع على اختلافها وتنوعها, و إقامة المشاريع التنموية الخيرية التي ساعدت في تأمين فرص عمل وحياة أفضل للأسر الفقيرة، بل هناك كثير ممن يرى في وجود الجمعيات الخيرية وقوة حضورها في المجتمع أنه دليل رقي ذلك المجتمع وعلو درجة تحضره. فالدولة المتقدمة وعلى ما عليه من غنى اقتصادي وقوة في تنظيم شؤون حياة مجتمعها, إلا أن كثيرا من حاجات تلك المجتمعات تكفلت بها المجتمعات نفسها, وذلك من خلال مؤسساتها الخيرية الكثيرة والمتنوعة

لكن الجمعيات والمنظمات لا تزال تعاني قصورا في الخبرات والتخطيط كما تعاني كثيرا من الإقصاء والإخضاع لمتغيرات السياسة مما يحد من إنتاجيتها والاعتماد عليها ، وهذا يتطلب من المجتمع والدولة تشجيعها والإشراف عليها وتطويرها بما يتناسب ومتطلبات أهدافها كونها رافدا مهما للبناء والتنمية ، ووسيلة صالحة للإصلاح في المجتمع .

**٦. القيام بحق العلماء والمصلحين وأهل الفضل في المجتمع .**

فإن هذا الصنف من الناس هم أمان المجتمع وحصنه المنيع الذي يحول دون الانهيار الديني والأخلاقي ، ويمكن أن نجمل حقهم على المجتمع بما يلي :

- **معرفة فضلهم وقدرهم وإنزالهم منازلهم :**

فقد أخرج أبو داود وغيره عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :( إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ ) [٢]

قال النووي : ( بابُ توقيرِ العلماءِ والكبارِ وأهلِ الفضلِ وتقديمِهِمْ على غيرِهِم ورفعِ مجالِسِهِمْ وإظهارِ مرتَبَتِهِم ) [٣]

- **الذب عنهم وعدم التنقص من حقهم .**

---

(١) آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، ثناء فؤاد عبد الله ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية . ١٩٩٧م.

(٢) رواه أبو داود وحسنه الألباني في المشكاة

(٣) رياض الصالحين ٥٣/١ .

وذلك لأنَّ الكلامَ على أهلِ الفضل وسَبَّهُم وتنقُّصَهُم وتَتَبُّعَ هفواتِهِم وزلاتِهِم يُنْقِصُ مِنْ هَيْبَتِهِم لدى الناس ، ويُجَرِّئُ أهلَ السوءِ والسفهِ عليهم ، وإذا صار السفيه يطعن في أهل الفضل ويتصدر الناس ويتوارى المصلحون وأهل الفضل والشرف فيتوارى معهم ما يحملونه من علم وأدب وحلم وصلاح ودين فانتظر الساعة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :( سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ) .[1]

**– تقديمهم على غيرهم وتمكينهم من الإصلاح .**

وهذا يقتضي أن يؤخر أهل السفه والجهل وأصحاب المصالح الشخصية.

قال النووي عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : (لِيَلِنِي منكم أُولُو الْأَحْلَام والنُّهَى ):

قال رحمه الله (فِي هَذَا الْحَدِيث تَقْدِيم الْأَفْضَل فَالْأَفْضَل إِلَى الْإِمَام لِأَنَّهُ أَوْلَى بِالْإِكْرَامِ ، وَلِأَنَّهُ رُبَّمَا اِحْتَاجَ الْإِمَامُ إِلَى اِسْتِخْلَاف فَيَكُون هُوَ أَوْلَى ، وَلِأَنَّهُ يَتَفَطَّن لِتَنْبِيهِ الْإِمَام عَلَى السَّهْو لِمَا لَا يَتَفَطَّن لَهُ غَيْره ، وَلِيَضْبِطُوا صِفَة الصَّلَاة ، وَيَحْفَظُوهَا وَيَنْقُلُوهَا وَيُعَلِّمُوهَا النَّاس وَلِيَقْتَدِيَ بِأَفْعَالِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ وَلَا يَخْتَصّ هَذَا التَّقْدِيم بِالصَّلَاةِ ، بَلْ السُّنَّة أَنْ يُقَدَّم أَهْل الْفَضْل فِي كُلّ مَجْمَع إِلَى الْإِمَام وَكَبِير الْمَجْلِس كَمَجَالِس الْعِلْم وَالْقَضَاء وَالذِّكْر وَالْمُشَاوَرَة ، وَمَوَاقِف الْقِتَال وَإِمَامَة الصَّلَاة وَالتَّدْرِيس وَالْإِفْتَاء وَإِسْمَاع الْحَدِيث وَنَحْوهَا ، وَيَكُون النَّاس فِيهَا عَلَى مَرَاتِبهمْ فِي الْعِلْم وَالدِّين وَالْعَقْل وَالشَّرَف وَالسِّنّ وَالْكَفَاءَة فِي ذَلِكَ الْبَاب ، وَالْأَحَادِيث الصَّحِيحَة مُتَعَاضِدَة عَلَى ذَلِكَ . وَفِيهِ تَسْوِيَة الصُّفُوف وَاعْتِنَاء الْإِمَام بِهَا وَالْحَثّ عَلَيْهَا ) انتهى كلامه رحمه الله.[2]

## ٧. أن يبادر أهل العلم والفضل والصلاح إلى قيادة الناس والأخذ على يد مفسديهم والنصح لهم .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ٤٠٣٦) ، والحاكم (٨٤٣٩) ، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٨٨٧)

(٢) شرح النووي على مسلم ١٧٣/٢ .

وهذا واجب النخبة في المجتمع ، وهي الأمانة التي حملوها أمام الله تعالى تجاه أمتهم وألا يتأخروا أو يتقاعسوا عن هذا الدور المنوط بهم فيتركوه لغير أهله ، وما تَصَدَّرَ أهلُ السفهِ والجهلِ مجالسَ الناسِ ومنابرهم ونَطَقَ الرويبضةُ في أمر العامةِ إلا عندما تَأخر أهل الفضلِ والإصلاحِ وتقاعسوا عن واجبِهِم في قيادةِ الناسِ ونشر الدينِ والصلاحِ في الأمة .

يقول الشنقيطي عليه رحمه الله : ( وإذا تَقَاعَسَ العلماءُ وطلابُ العلمِ عن الدعوةِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ وإصلاحِ العبادِ وتقريبِهِم من ربهم ، فمن الذي يُنْذِرُ ويبشر ببشارةِ اللهِ، ويقيمُ حجةَ اللهِ على عبادِ الله. ولله دَرُّ القاضي عبدِ الوهاب رحمه الله في أبياته اللطيفةِ:

مَتَى تَصَلُ العطاشُ إلى ارتواءٍ ... إذا استقتِ البحارُ من الرَّكَايَا[1]

ومن يُثْنِي الأصاغرَ عن مُرادٍ ... وقَد جلسَ الأكابرُ في الزوايا

وإنّ ترفُّعَ الوضعاءِ يوماً ... على الرُّفعاءِ مِنْ إحْدَى البلايا

والمعنى أنه إذا كانَ العلماءُ والأكابرُ أهلُ الفضلِ جلسوا في الزوايا يتعبَّدُون، إذاً: لَتَصَدَّرَ صِغارُ السّنِّ والأحداثُ لقيادةِ الأمةِ، وعندها لا تسأَلْ عن فسادِ الأحوال.

### ٨. العمل على إزالة الخلاف وأسبابه :

فالخلاف شر ولا سيما إذا كان بين النخبة من العلماء والدعاة والمصلحين ووجهاء القوم الذين يصلح المجتمع بصلاحهم ، ويفسد بفسادهم ، فهذا الصنف من الناس هم أولوا الأمر في الأمة وقد حمَّلهم الله أمانة قيادتها وإرشادها كما حمَّلها طاعتهم وتوقيرهم فإذا اختلفوا اختلفت الأمة باختلافهم وضعفت وساد أهل السوء وأفسدوا قال تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) الأنفال .

## المبحث السادس
## وسائل المجتمع في التغيير والإصلاح

### ١. مجلس أهل الحل والعقد :

---

(١) الركايا جمع (رَكِيَّةٍ ) وهو البئر .

ويعرف في بعض الأنظمة بمجلس الأمة أو مجلس النواب أو أهل الشورى . يقول شيخ الأزهر: محمود شلتوت ـ رحمه الله في تعريفه هذا مجلس الشورى هم : ( أهل النظر الذين عرفوا في الأمة بكمال الاختصاص في بحث الشؤون، وإدراك المصالح، والغيرة عليها، كأصحاب القضاء، وقواد الجيش، ورجال المال والاقتصاد والسياسة، وغيرهم من الذين عرفوا في تخصصهم بنضج الآراء وعظيم الآثار وطول الخبرة والمران، فهؤلاء هم أولو الأمر في الأمة، وهم الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم، وتمنحهم ثقتها، وتنيبهم عنها في نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها، وهم الوسيلة الدائمة في نظر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها فيما لم يرد من المصادر السماوية الحاسمة، وهم أهل الإجماع الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها، والعمل بمقتضاها )[1] وبهذا الوسيلة تستطيع الأمة محاسبة الحاكم وسلطته التنفيذية وربما عزله أو عزل أحد ولاته ، ومراقبة أدائهم إن هم قصروا في أداء مهام الولاية.

وعن طرق هذه الوسيلة تستطيع الأمة سن قوانينها التي تنظم شئون حياتها أو إصلاحها أو تغييرها فأعضاء هذا المجلس هم قوم انتخبهم الشعب ووكلهم للحديث عنه ، إذا لا يصح أن يباشر كل فرد في الأمة أعمال الإصلاح أو الحسبة على الحاكم فليس كل إنسان مؤهلاً لذلك .

### ٢. الصحافة وحرية الكلمة :

ويسميها البعض بالسلطة الرابعة لقوتها وخطورتها في المجتمع فهي لسان حاله تبلغ صوته ورأيه إلى أولي الأمر ، وتقوم بدور الرقيب على مظاهر الفساد في الدولة والمجتمع وتكشفها وتعالجها.

وهي وسيلة من وسائل الحسبة على الحاكم إذا انحرف عن مقصود الولاية وأفسد فيها فإن الصحافة تقتضي النصح في العلن أو النقد العلني والضغط على الحاكم حتى يعدل بالحق.

كما أن الصحافة ربما أصبحت اليوم أهم وسائل التوعية المجتمعية وهي المسئولة عن صياغة الرأي العام سلبا وإيجابا ، ومن هنا يأت أهمية أن يتولاها أهل الفضل والصلاح الذي يخافون الله في الأمة ويصلحون أكثر مما يفسدون ، ونقصد بحرية الكلمة أن تكون هذه الوسيلة بيد الشعب وليس بيد فئة معينة أو بيد الحاكم يملي عليها ما يشاء فتسكت عن انحرافه وتتسلط على من نصحه أو أنكر عليه .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٤٥ دار الشروق الطبعة الثامنة عشرة ٢٠٠١ م

### ٣. منظمات المجتمع المدني:

والمقصود بها تلك المنظمات غير الحكومية وغير الربحية، مثل النقابات العمالية وجمعيات النفع العام والمؤسسات الخيرية ، فهي منظمات طوعية في غالبها تمثل أحد دعائم الاستقرار ، وأحد وسائل الإصلاح ، وهي بهذا تسد فراغاً مهماً في العملية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتمثل ما اصطلح على تسميته بالقوى الضاغطة التي تضغط باتجاه تحقيق مطالب معينة يتم إهمالها من السياسيين أو المجتمع بشكل عام كما هو الحاصل في النقابات وغيرها ، أو تقوم بسد النقص الحاصل من الدولة تجاه شريحة الضعفاء والفقراء في المجتمع كما هو الحاصل في الجمعيات واللجان الخيرية. وهذه المنظمات يجب أن تتسم بالاستقلالية التامة حتى تؤدي دورها المجتمعي على الوجه الصحيح .

### ٤. المساجد :

لقد أثبتت المساجد أنها النواة الثانية بعد الأسرة الصالحة في صياغة الفرد المسلم الصالح ، لأنه المكان الخصب لتزكية الأرواح وتربية النفوس ، ولقد كان المسجد في السابق جامعةً للعلم ومحكمة ومكاناً للعبادة ومركزاً للقيادة وبرلماناً للسياسة وأساساً للدولة عقدَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ألوية الجيوش واستقبل فيها الوفود وأبرم فيها المعاهدات وأقام الاجتماعات والمشاورات وهو اليوم لا يقل أهمية عما كان عليه الحال في السابق ، فمع تنوع مؤسسات الدولة التي تقوم بما كان يقوم بها المسجد في السابق إلا أن المسجد لا يزال يعلب دورا كبيرا في إصلاح الفرد ، والتوعية الصالحة للمجتمع من خلال خطب الجمعة والمحاضرات العامة والخاصة والندوات التي تقام في المساجد لتوعية الناس خطر الآفات السيئة كالإدمان وعقوق الوالدين والمواطنة والإسراف والتبذير وغيرها من مواضيع الإصلاح التي شاهدناها تنطلق من مساجد هذا البلاد المباركة أو غيرها من البلدان ، والتي أسهم فيها المسجد بشكل كبير كونه مكانا خصبا يجتمع الناس فيه بغير عناء ولا كلفة ، كما يعد المسجد رافدا علميا مهما للمؤسسات التعليمية المختلفة ، ويلعب دورا مهما في العمل الخيري والطوعي والنشاط الاجتماعي .

### ٥. المدارس والجامعات :

كل محاضن العلم والتعليم والبحث العلمي تعتبر وسائل رئيسية في بناء المجتمعات وإصلاحه ، فمجتمع المعرفة يعتبر بالضرورة مجتمع منتج ، ومن المعلوم أن أساس الإصلاح يبدأ بإصلاح التعليم والاهتمام به وتوظيفه لخدمة المجتمع .

وتأتي أهمية هذه المحاضن أنها تعتبر بمثابة المصانع التي يصنع فيه الرجال وتصاغ عقولهم وأذهانهم منذ أن يلتحق الفرد بالمرحلة الأولى إلى أن ينتهي من دراسته الجامعية أو الأكاديمية .

فصلاح المجتمع يتوقف إذاً على إصلاح المدرس والمدرسة أولا فإذا أولينا العناية والاهتمام بهما ، فإن الإنتاج يكون وافراً، وهذا ما يزيد من تطور البلاد وازدهارها ونموها إلى الرقي ومسايرة موكب الحضارة المتطورة. بالعلم و المال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال .

## الخاتمة :

**بعد هذا العرض السريع لدور المجتمع في الإصلاح والتغيير يمكن أن خلص إلى عدة نتائج كالتالي:**

١. أن المجتمع يقصد به اجتماع الناس على أرض بصورة مستمرة تربطهم علاقات مشتركة.

٢. هناك فرق بين مدلول المجتمع المدني بالمفهوم الغربي الذي ينطلق من إلغاء حكم الله وإعطائه للشعب ، بينما المجتمع المدني بالمفهوم الإسلامي مجتمع رباني تربطه رابطة الإيمان بالله والاستسلام له وينطلق من مبدأ إقامة الدين في نفسه .

٣. أهمية دور المجتمع في الإصلاح المتمثل عن طريق وسائله المتنوعة والتي تعني بالمصطلح الفقهي الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤. يمكن تقسيم جانب الإصلاح في المجتمع إلى جانب تشريعي وجانب رقابي .

٥. لا بد أن يتحمل المجتمع واجباته في الإصلاح الذي يبدأ بالفرد ثم الأسرة ثم المنظمات الطوعية الرديفة لمؤسسات الدولة ويقوم بذلك النخبة من أهل الفضل في المجتمع وليس متروكا لأفراد الناس .

٦. يمتلك المجتمع وسائل إصلاح متنوعة وناجعة تجعله عاملا مؤثرا في الإصلاح والتنمية وتأمن معه حيف السلطان أو انتشار الفساد المؤذن بالهلاك . والله الموفق